

اعتذارات الأئمة

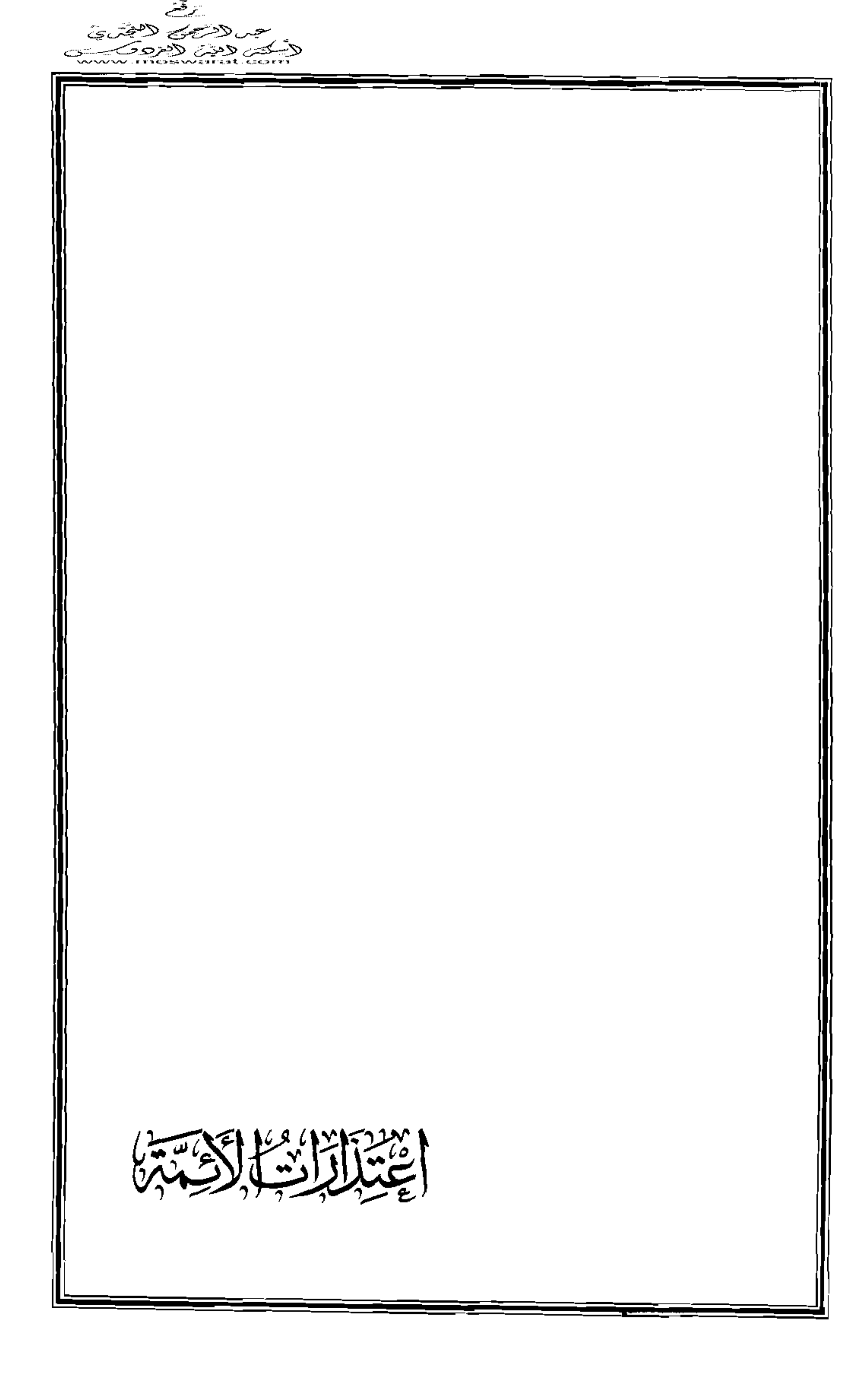


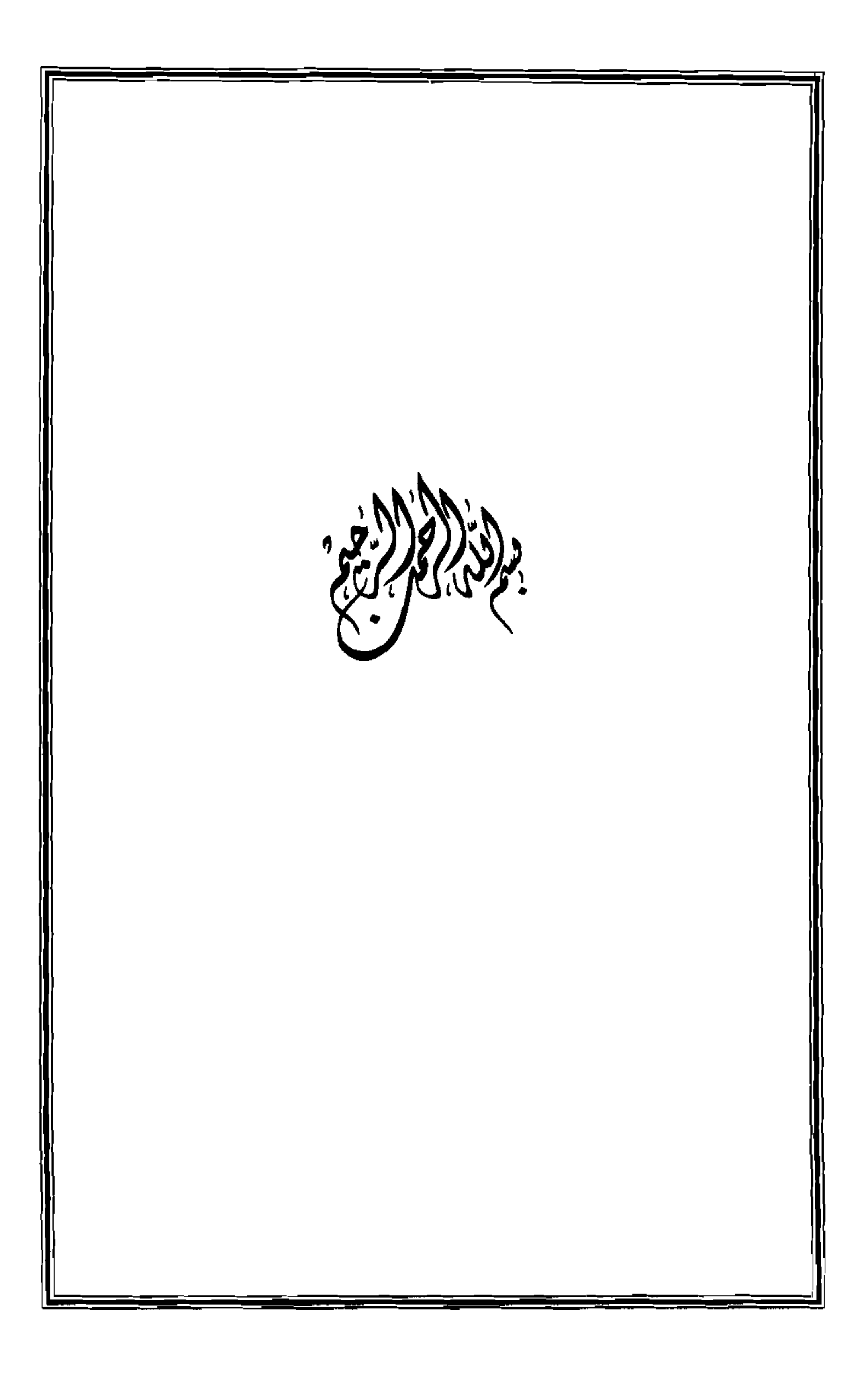
تأليف

خليل بن عثمان الجبور السبيعي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع




اعتذارات الأئمة


بسم الله الرحمن الرحيم

اعتذارات الأئمة

تأليف
خليل بن عثمان الجبور السبيعي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

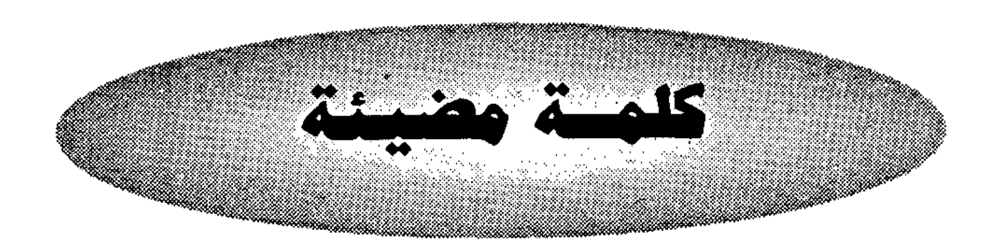
دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩

الرياض - السويدي - شارع السويدي العام

ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢

المملكة العربية السعودية



قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه «البيان والتبين»[1]:

«اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نَعُوذ بك

(١) (١/٣) ط ١٤٠٥هـ،

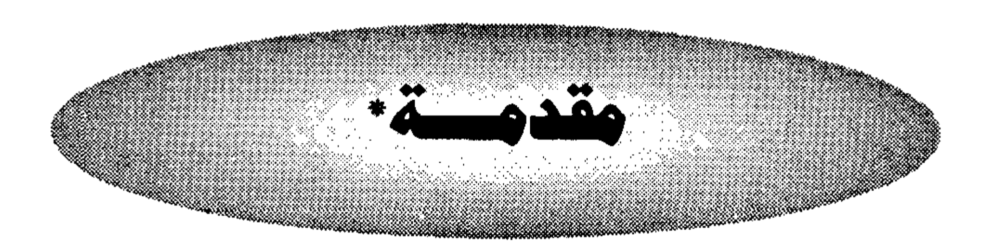
هذا هو الصواب في تسميته وما عداه «فخطأ محض» كما في النسخ الخطية للكتاب، ولغة أيضاً:

فالبيان: الفصاحة والإيضاح.

والتبين: (بياء واحدة مثناة تحتية) فمعناه: ظهور الشيء بخلاف (التبيين) «بيائين تحتيد مثناة» فمعناه واحد لا غير هو الايضاح. فلا يستقيم اسم الكتاب: ايضاح الإيضاح!!

وينظر مختار الصَحَاح ص٢٩ وغيره.

من فتنة العمل؛ ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن؛ ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي والحَصَر؛ وقديماً ما تعوذوا بالله من شرهما، وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما» أ.هـ



مقدمة*

الحمد لله الذي جعل في كل زمانِ فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى.

فكم من قتيل لأبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه؛ فما أحسن أثرهم على الناس، وما

* أفاد شيخ الإسلام أن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ألف الرد المذكور وهو في السجن، كما في المنهاج (٣/ ٦٩ ط بولاق) و(٥/ ٢٧٣) تحقيق رشاد سالم ـ رحمه الله ـ.



أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة.

فهم مختلفون في الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم.

ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في اسمائه وصفاته، وهو السميع البصير.

---

(١) إقتباس من خطبة الإمام أحمد ـ رحمه الله في رده على «الزنادقة والجهيمة»

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، ونبيه المجتبى؛ فتح الله به أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من الغي، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله عليه وعلى أهله وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه، واقتناه الكاسب، لأن شرفه ينم على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه؛ قال تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ [الزمر: ٩].

فمنع سبحانه بين المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم. وقد قال الله تعالى: ﴿**وما يعقلها إلا العالمون**﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم عنه زجراً.

- وقد قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: الناس أبناء ما يحسنون.
- وقال مصعب بن الزبير لابنه: تعلم العلم، فإن يكن لك مالٌ كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مالٌ كان لك مالاً.
- وقال عبدالملك بن مروان لبنيه: يا بنيَّ! تعلموا العلم؛ فإن كنتم سادة فُقْتُم، وإن كنتم وسطاً سُدْتم، وإن كنتم سوقةً عشتم.
- وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خلَفٍ،

والعمل به أكمل شرفٍ.

- وقال بعض الحكماء: تعلم العلم، فإنه يقومك ويسددك صغيراً، ويقدمك ويسودك كبيراً، ويصلح زيفك، وفسادك؛ ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأمَلَك.
- وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: قيمة كل امرىء ما يحسن.

ثم لو تأملت ـ راعاك الله ـ لعلمت أن باعثك لطلبك للعلم أمران:

١ ـ الرغبة في ثواب الله طلبا لمرضاته.

٢ ـ الرهبة في عقاب الله لترك أوامره؛

فإذا اجتمع عندك رغبة ورهبة، أدتا إلى كنه العلم، وحقيقة الزهد.

- وقد قالت الحكماء: أصل العلم الرغبة، وثمرته السعـــادة، وأصل الزهد الرهبـة، وثـمـرته العبادة.

فإذا اقـترن الزهد والعلم، فقد تمت السـعادة، وعمت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مفترقين، ما أضر افتراقهما، وأقبح انفرادهما!

- وقال بعض الحكماء: الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه[1].

ولو تقـصينا مـا ورد في العلم وفـضله، لطال المقام ولخـرجنا عن المُقـام. وإن أردت السراج المنيـر لتأصـيلك في العلم، والمضي قدمـاً إلى الأمام على نهج السلف الكرام فعليك بـ:

- الفقيه والمتفقه/ للخطيب البغدادي.

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين/ الماوردي، مقدمة الكتاب.

- جامع بيان العلم وفضله/ لابن عبدالبر.
- تذكرة السامع والمتكلم/ ابن جماعة. وغيرها كثير مما كتبه السلف، أو من تبع سنَنَهم من الخلف شبراً بشر، وذراعاً بذراع، والخطوة على الخطوة!!

فكلام السلف، وموصوله من الخلف، هو الزُّبَد تسمو به الأخلاق، وترفع أن تكون من الأعلاق.

فكلام السلف قليل كثير البركة؛

وكلام الخلف كثير قليل البركة!

وشتان بين الزُّبَد والزَّبَد. ﴿**فأما الزبد فيذهب جفاء**﴾.

ولذا:

كان واجباً على طالب العلم ـ وعلى الراقم

أوجب ـ لزوم الأدب؛ والأدب هو الدين كله!!

وإليك ما قاله ابن القيم رحمه الله. ولا تستطله، فهو معلم لحياتك العامة والخاصة:

قال رحمه الله تعالى: «والأدب هو الدين كله!؟ فإن ستر العورة من الأدب. والوضوء وغسل الجنابة من الأدب. والتطهر من الخبث من الأدب. حتى يقف بين يدي الله تعالى طاهراً. ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة. وهو أخذ الزينة؛ فقال تعالى: ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ [الأعراف: ٣١].

فعلّق الأمر بأخذ الزينة، لا بستر العورة، إيذاناً بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه، وأجملها في الصلاة.

وكان لبعض السلف حلة بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة؛ ويقول: ربي أحق من تجملت له في صلاتي.

ومعلوم: أن الله سبحانه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، لا سيما إذا وقف بين يديه، فأحسن ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهراً وباطناً.

ومن الأدب: نهى رسول الله ﷺ المصلي: «أن يرفع بصره إلى السماء».

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله

روحه ـ يقول: هذا من كمال أدب الصلاة: أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقاً، خافضاً طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق.

قال: والجهمية ـ لما لم يفقهوا هذا الأدب ولا عرفوه ـ ظنوا أن هذا دليل: أن الله ليس فوق سماواته على عرشه كما أخبر به عن نفسه، واتفقت عليه رسله، وجميع أهل السنة.

قال: وهذا من جهلهم، بل هذا دليل لمن عقل عن الرسول ﷺ على نقيض قولهم.

إذ من الأدب مع الملوك: أن الواقف بين أيديهم يطرق إلى الأرض ولا يرفع بصره إليهم. فما الظن بملك الملوك سبحانه؟

وسمعته يقول في نهيه ﷺ عن قراءة القرآن في

الركوع والسجود: إن القرآن هو أشرف الكلام، وهو كلام الله، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد، فمن الأدب مع كلام الله أن لا يقرأ في هاتين الحالتين؛ ويكون حال القيام والانتصاب أولى به.

ومن الأدب مع الله: أن لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي ﷺ، في حديث أبي أيوب، وسلمان، وأبي هريرة، وغيرهم رضي الله عنهم.

والصحيح: أن هذا الأدب يعم الفضاء والبنيان، كما ذكرنا في غير هذا الموضع.

ومن الأدب مع الله في الوقوف بين يديه في الصلاة: وضع اليمنى على اليسرى حال قيام



القراءة.

ففي الموطأ لمالك عن سهل بن سعد: «أنه من السنة»، «وكان الناس يومرون به».

ولا ريب أنه من الأدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء، فعظيم العظماء أحق به.

ومنها: السكون في الصلاة وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾.

قال عبدالله بن المبارك عن ابن أبي لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قوله تعالى: ﴿**الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ أهم الذين يصلون دائماً؟

قال: لا، ولكن إذا صلى لم يلتفت عن يمينه،



ولا عن شماله ولا خلفه[1].

قلت: ـ ابن القيم ـ هما أمران: الدوام عليها، والمداومة عليها. فهذا الدوام، والمداومة في قوله تعالى: ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ وفسر «الدوام» بسكون الأطراف والطمأنينة.

- وأدبه في استماع القراءة، أن يلقي السمع وهو شهيد.
- وأدبه في الركوع: أن يستوي ويعظم الله تعالى، حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه. ويتضاءل ويتصاغر في نفسه، حتى يكون أقل من الهباء.

---

(١) أخرج هذا الأثر: عبد بن حميد وابن جرير (٢٩/ ٨٠) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. الدر المنثور (٧/ ٢٨٤ ط دار الفكر).

وله طريق آخر عند ابن جرير (٢٩/ ٨٠) واسناده به حسن.

- والمقصود: أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً.

ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء:

معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب ويكره، ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً. والله المستعان.

- وأما الأدب مع الرسول ﷺ: فالقرآن مملوء به فرأس الأدب معه: كمال التسليم له، والانقياد لأوامره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيالٍ باطل، يسميه معقولاً.

أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والاذعان، كما وحد الرسل سبحانه وعالى بالعبادة والخضوع، والذل، والانابة، والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره. ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه، وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره وفوضه

إليهم، وإلا حـرفه عن مـواضعـه ويسمى تحـريفه: تأويلاً وحملاً. فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الاطلاق ـ ما خلا الشرك بالله ـ خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء فقلت له:

سـألتك بالله، لو قدر أن الرسـول ﷺ حي بين أظهرنا وقـد واجهنا بكلامـه وبخطابه، أكان فـرضاً علينا أن نتـبعه من غـير أن نعـرضه على رأي غـيره وكلامه ومذهبـه أم لا نتبعه حتى نعرض مـا سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟

فقـال: بل كان الفرض المـبادرة إلى الامتـثال من غير التفات إلى سواه.

فقلت: فـما الذي نسخ هذا الفـرض عنا؟ وبأي

شيء نسخ؟

فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتاً متحيراً وما نطق بكلمة.

هذا أدب الخواص معه، لا مخالفة أمره، والشرك به، ورفع الأصوات، وازعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم، وعزل كلامه عن اليقين، وأن يستفاد منه معرفة الله، أو يتلقى منه أحكامه.

بل المعول في باب معرفة الله: على العقول المنهوكة المتحيرة المتناقضة.

وفي الأحكام: على تقليد الرجال وآرائها، والقرآن والسنة: إنما نقرؤهما تبركاً!!

لا أن نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه.

ومن طلب ذلك ورامه، عاديناه وسعينا في قطع

دابره، واستئصال شأفته.

﴿**بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون**﴾ إلى قوله: ﴿**وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم* وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**﴾

والناصح لنفسه العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع، فيرى العجب ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا: «فالحديث لك واسمعي يا جارة»!! والله المستعان.

○ ومن الأدب مع الرسول ﷺ: أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى ويأذن كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ وهذا باق

إلى يوم القيامة ولم ينسخ.

فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد ـ رحمه الله: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ.

وقال أبوعبيدة: تقول العرب لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه.

وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

○ ومن الآداب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها.

○ ومن الآداب معه: أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره، قال تعالى: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ وفيه قولان للمفسرين:

ـ أحدهما: أنكم لا تدعونه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضاَ؛ بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى المفعول، أي دعاءكم الرسول.

ـ الثاني: أن المعنى: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً، إن شاء أجاب وإن شاء ترك؛ بل إذا دعاكم لم يكن لكم بدٌ من اجابته، ولم يسعكم التخلف عنها البتة، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم.

○ ومن الأدب معه: انهم إذا كانوا معه على أمر جامع، من خطبة، أو جهاد، أو رباط، لم يذهب

أحد منهم مذهباً في حاجته حتى يستأذنه. كما قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه**﴾. فإذا كان هذا مذهباً مقيّداً بحاجة عارضة، لم يوسع لهم إلا بإذنه، كيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه دقيقة وجليلة؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟ ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

○ ومن الأدب معه: أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نص بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه. ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً. نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد، فكل هذا من قلة

الأدب معه ﷺ، وهو عين الجرأة.

○ وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم، بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص.

فمع الوالدين: أدب خاص، وللأب منهما: أدب هو أخص، ومع العالم: أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، وله مع الأقران أدب يليق بهم، ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه، ومع الضيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته.

ولكل حال أدب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والاقامة والنوم آداب، وللبول آداب، وللكلام آداب، وللسكوت والاستماع آداب.

وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه.

وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره.

فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب.

فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟ والإخلال به مع الأم ـ تأويلاً واقبالاً ـ على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة؟

ـ وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟!

ـ وانظر قلة أدب عوف بن مالك مع خالد: كيف حرمه السلب بعد أن بَرَدَ بيديه؟!

ـ وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي ﷺ في الصلاة أن يتقدم بين يديه، فقال: «ما كان ينبغي لإبن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم».

كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده؟!

فكان ذلك التأخر إلى خلفه وقد أومأ إليه أن: «أثبت مكانك» جمزاً وسعياً إلى قدام؟

بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قدّام، تنقطع فيها أعناق المطيّ! والله أعلم» انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ (المدراج ٢/ ٣٨٤).

وعلى ضوء ما تقدم:

فإن الأدب على كل حال واجب ومع العلماء أوجب. كأن من يهمز ويلمز، ويقدح، ويتنقص،

ما بلغه قوله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعرف وينهى عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه»[1].

بل وصل الأمر إلى أعظم من ذلك:

فإجلال العالم لعلمه، ولما يحفظه من كتاب الله، وكذا حافظ كتاب الله جل وعلا ـ اجلالٌ لله جل وعلا.

ـ فيا تُرى ـ ماذا يقال عمن لا يجل الله جل وعلا؟

بدافع الجهل المركب، أو الهوى، أو الكبر، أو الحسد، أو غمط الناس حقوقهم، أو الانتقاص منهم، أو التهوين من شأنهم ومكانتهم بماذا؟

---

(١) حديث صحيح. ينظر لبسط تخريجه، مسند أبي يعلي (٦/ ١٩١/ ٣٤٧٦).

باسم التحقيق العلمي النزيه!!

أو البحث العلمي المتجرد من الأهواء!!

أو الرد ـ المبطن بالعصبية المقيتة على اختلاف ألوانها ـ انتقاماً، أو استهتاراً، لا وصولاً للحق، وبيانه.

ـ أو ثالثة الأثافي، والمصيبة والتي لا لعالها:

بعض من كتب في الماجستير أو الدكتوراه، وتجرأ الغمر على الطعن والثلب ورأينا كذا!! والذي نراه نحن كذا!!

ورأينا يخالف ما عليه المصنف ووهم في ذلك وهو عندنا خطأ!! و: (أنا، وإنا، ونحن، وعندنا، والذي نراه، .. ونحن نعتقد، وهذا عندنا جائز، وهذا غير جائز...) من عبارات الغرور والتعالي،

المشعرة بالنقص، وإظهار أمراض خوافي النفوس ما يجد الإنسان أمامه إلا أن يتمثل بقول الإمام عبدالوهاب بن علي بن نصر المالكي (ت٤٢٢هـ):

متى يصل العطاش إلى ارتواء
إذا استقت البحار من الركايا
ومتى يثني الأصاغر عن مرادٍ
وقد جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يوماً
على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي
فقد طابت منادمة المنايا[1]

○ وإن أردت أن تجمع قاموساً للسباب والشتام، والتعالى ـ والمؤمن ـ ليس بالطعّان ولا الفاحش

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣١٩/ رقم ٤٠٠).

البذيء، ولا بالمتشدق المتفيهق.

ـ فمرّ كمرورك في وادي محسر ـ فيما سطره الغزالي ـ وسيسأل عن ذلك يوم القايمة ـ في «السنة بين أهل الفقه والحديث» مات في عقدر دار التوحيد، وجر ثموة العالم كله، بين ظهراني قوم هو لهم شانيء، ومبغض، متهكم تارة، ساخرُ تارة أخرى. . . فلله الأمر من قبل ومن بعد.

○ وهكذا فليكن الأدب مع العلماء ورعاية حقوقهم ومنزلتهم. وكأننا نسينا قول النبي ﷺ فيما صح عنه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة في رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم لقياه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليها بها سخطه إلى يوم القايمة».

○ قال علقمة الراوي عن بلال بن الحارث المزني ـ رضي الله عنه ـ: كم من كلام منعنيه حديث بلال ابن الحارث رضي الله عنه!!

فأين نحن من هذا الحديث!!

اقرأه مرة وأخرى، وتأمل وتمعن، فهناك ملكان وحساب ـ والله الموعد ـ.

○ وللفائدة: ينظر (٤/ ٤٢٢/ رقم ١٥٧٨ ـ الروض البسام)، فقد حرر الشيخ الفاضل جاسم الفهيد الدوسري، عبارة «وسكت عنه الذهبي».

وعليك ـ يا رعاك الله ـ بكتابين نفيسين للغاية اشتملا على علم وفائدة، ومنهج يوصلك إلى الجادة ـ إن شاء الله تعالى ـ

أولاهما: أخطار على المراجع العلمية/ للعالم

الفاضل عثمان بن عبدالقادر الصافي.

الآخر: قواعد التعامل مع العلماء/ للعالم الفاضل: عبدالرحمن بن معلا اللويحق.

وكتب حذر منها العلماء/ مشهور حسن سلمان (١/ ١١ فما بعدها).

والله أعلم

منهج الرسالة

※ هذه الرسالة ـ أو سمها النصيحة ـ ليس لي فيها كبير أمرٍ، بل ضم النظير إلى نظيره، وإفادة نفسي أولاً واخواني من طلبة العلم.

※ لم أراع فيها ترتيباً معيناً ـ لا سناً ولا زمناً ـ بل وقفت عليه دونته وهكذا. وسميته تجوزاً ـ اعتذارات الأئمة ـ.

ثم أعلم أيها اللبيب:

إن ما جهلت أكثر مما علمت، وما تركت أكثر مما سطرت، وحسبي أني فتحت باباً، وسننت سنة حسنة فإن كان التوفيق حليفي فمن الوهاب المنان،

وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان.

واستغفر الله وأتوب إليه على كل حال.

فقد ركبت مركباً لست له بأهل، واقتحمت ساحة لست من رجالها، ولا فرسانها. فإن صادفت هذه الورقات صواباً فكن لي داعياً - ولك بمثل - وإن خطأً فكن لي عاذراً لا عاذلاً.

فرحم الله من رأى خللاً فسدده، وخطأ فأصلحه، وصواباً فأذاعه، وخيراً فأشاعه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وأهله وآله أجميعن

وكتب

خليد بن عثمان الجبور السبيعي

١٤١٧هـ

ص.ب ١٥٣٣٠٥

الرياض: ١١٧١٦

(١)
اعتذار الإمام سليمان بن عبدالقوى الطوفي ت٧١٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الصقعة الغضبية (ص٢١٦) ط العبيكان.

وسأنقل كلامه ثم اعتذاره لجماله:

«وإني آنست في عصرنا ذي الأعاصر، وزمننا ذي المغريات والغوادر، قوماً يدعون الفضل دعوى مجردة، ويجمعون العلم في دفاتر مجلدة، ينتحلون حلية الفضل، وكل منهم عاطل، ويسهرون بالبطولة فيها بالمخرفة، والباطل، ينكرون فضل العربية، وتأخذهم عليها عصبية الشعوبية، حتى لقد اتخذوه

سخرياً، ونبذوه ورائهم ظهرياً، وعدوه ظماً لا رياً، وحكموا بأن الخلو منه أحسن أثاثاً ورئياً؛

فضلالاً لهـذه الأحلام ما اسخفـها، وخطأً لهذه الأحكام، ما أعداها عن الحق وأحنفها!

أيظنون أن ضياء الشمس تخفيه المكابرة؟!

أم يحسبون أن اليقين يستحيل شكاً بالمنابرة؟!!

كلا، بل هي عقول عن التميـيز معقولة، وقرائح مقروحة، كرهت أوطان النباهة فهي إلى بلاد البلادة منقولة ـ

ـ إلى أن قال ـ:

«على أني مع ذلك لست من أهله المبـرزين، ولا من كـماة حـومتـه المعلمين، لكني ممن أهتـدي إلى جهـتهم بأنوارهـم، ونحا نحوهـم باقتفـاء آثارهم،

فتحاميت لهم من جــور الطغام، وغرت على نفائس جــواهر تيــجان ملكــهم من إزراء السرقــة العــوام، فســددت إليهم ســهام الحق، وأظــهرت في رميــهم صناعة الــرشق. وأرجو من الله تعــالى أن أكون في ذلك كالثُّعلي لا تنمي رميته، لا كالكسعي تجني عليه مع اصابته ندامته، وعلى الله المعوّل، وإليه المتحوّل، وله الشكر على ما قد حبانيه وخوّل» أهـ.

(٢)
إعتذار الإمام أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في مجمع الأمثال (١/ ٦ ط حلبية ١٣٩٨هـ):

«وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خلل يراه، أو لفظ لا يرضاه، فأنا كالمنكر لنفسه، المغلوب على حسه وحَدْسِه، منذ حطّ البياض بعارضيّ رحاله، وحال الزمان على سوادهما فأَحَالَه، وأطار من وكر هامتي خُدَاريّة، وأنحى على عود الشباب فمصَّ ريَّه، وملكت يد الضعف زمام قواي، وأسلمني من كان يخطب في حبل هواي، وكأني أنا

المعني بقول الشاعر:

وهت عــزماتـك عند الشــيب
ومـا كــان من حـقـهــا أن تهي

وأنكرْت نـفــسك لما كَــبِــرْتَ
فـــــلا هِيَ أَنْــتَ ولا أنْتَ هــي

وإن ذُكِـرتْ شَـهَـواتُ النفـوس
فـمـا تشـتـهي غـيـر أن تشـتـهي

وأعيذه أن يرد صنو منهله التـقاطاً ويشرب عَذْب زلاله نقــاطاً، ثم يتحـزم لتغويـر منابعه بالتـعبـير، ويتشمر لتكدير مشارعه بــالتغيير، بل المأمول أن يسد خلله، ويصلح زلله، فقلما يخلو إنــسان من نسيان، وقلم من طغيان» أ.هـ

(٣)
إعتذار الإمام أحمد بن عبدالمؤمن القيسي ت٦١٩هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في شرح المقامات (١/ ١٠ ط حلبية ١٣٨٩هـ):

«وقد بذلت في الخدمة جَهْدي، وبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندي، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب، ولا وفاءً بجميع الحق الراتب، فالقول يقصر عن التحصيل، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل» أ.هـ

(٤)
إعتذار الإمام الخطابي حمد بن محمد البستي ت٣٨٨هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الحديث (١/ ٤٩ ط أم القرى ١٤٠٢هـ):

«وكل من عثر منه على حرفٍ، أو معنىً يجب تغييره، فنحن نناشده الله في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه، ونحن نسأل الله ذلك، ونرغب إليه في دركه إنه جواد وهوب».

(٥)
إعتذار الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير
ت ٦٠٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١١ ط المكتبة الإسلامية):

«وما أحسن ما قال الخطابي، وأبوموسى رحمة الله عليهما في مقدمتي كتابيهما، وأنا أقول أيضاً مقتدياً بهما: كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة، التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله ﷺ، وأصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم، جعلها الله سبحانه ذخيرة لغيري، يظهرها على يده ليذكر بها.

ولقد صدق القائل الثاني: كم ترك الأول للآخر ـ

إلى أن قال ـ ومع هذا: فإن المصيب في القول والفعل قليل، بل عديم؛ ومن الذي يأمن الغلط والسهو والزلل؟ نسأل الله العصمة والتوفيق.

وأنا أسأل من وقف على كتابي هذا، ورأى فيه خطأً أو خللاً، أن يصلحه، وينبه عليه، ويوضحه، ويشير إليه، حائزاً بذلك مني شكراً جميلاً، ومن الله أجراً جزيلاً» أ.هـ

(٦)
إعتذار للإمام شمس الدين أبي عبدالله المشهور بابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في حادي الأرواح (ص٣٣ ط دار ابن كثير ١٤١١هـ):

«والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكان جلُّ المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعدائه وحربه، لا تأخذهم

في نصرة سنته ملامة اللوّام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجلّ في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً منتهياً، أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سياسياً!!

فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

○ فيا أيها الناظر فيه لك غُنْمُه، وعلى مؤلفه غُرْمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

(٧)
إعتذار الإمام أحمد بن محمد القسطلاني ت ٩٢٣هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في المواهب اللدنية (٤/ ٦٩٤ ط المكتب الإسلامي):

«وإلى الله أضرع أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم، وأن ينفعني به والمسلمين والمسلمات في المحيا والممات؛

سائلاً من وقف عليه من فاضلٍ أنار الله بصيرته، وجُبلَ على الإنصاف سريرته، أن يصلح بحلمه عثاري وزللي، ويسدد بسداد فضله خطئي وخللي،

فالكريم يقيل العثار، ويقبل الإعتذار، خصوصاً عذر مثلي، مع قصر باعه في هذه الصناعة، وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة، وما ابتلي به من شواغل الدنيا الدنيّة، والعوارض البدنية، وتحمله من الأثقال التي لو حملها رَضْوَى لتضعضع، أو أنزلت على ثبير لخشع وتصدع، لكنني أخذت غفلة الظلام الغاسق، والليل الواسق، فسرقته من أيدي العوائق، والليل يعين السارق، واستفتحت مغاليق المعاني بمفاتيح فتح الباري، واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري، حامداً الله تعالى على ما أنعم وألهم، وعلّم ما لم أكن أعلم.

مصلياً مسلماً على رسوله محمد أشرف أنبيائه، وأفضل مبلغ لأنبائه، وعلى آله وأصحابه وخلفائه، صلاة لا ينقطع مددها، ولا يغني أمدها» أ.هـ.

(٨)
إعتذار للإمام العلامة ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في شفاء العليل (ص٦ ط دار المعرفة ١٣٩٨هـ):

«وهذا حين الشروع في المقصود، فما كان من صواب فمن الله وحده هو المانّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان. والله بريء منه ورسوله؛

فيا أيها المتأمل له، الواقف عليه، لك غنمه، وعلى مؤلفه غُرْمُه، ولك فائدته، وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته ولا يحملنك شنآن مؤلفه وأصحابه على أن تحرم ما فيه

من الفـوائد، التي لعلك لا تظفـر بهـا في كتـاب، ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها ولم يصلوا إلى مـعرفـتـها، واللـه يقسم فـضله بين خلقـه بعلمـه وحكمـتـه، وهو العليم الحكيم، والفـضل بيـد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» أ.هـ

(٩)
إعتذار آخر للإمام بن القيم الجوزية ت٧٥١هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في طريق الهجرتين (ص١٠ ط قطر ١٣٩٧هـ):

«فيا أيها القارىء له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك ثمرته، وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً فلا يعدم منك عذراً. وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح.

وقـد استـأثر الله بالثناء وبالحـمد وولى الملامـة الرجلا والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصاً، وينفع به مؤلفـه، وقارئه، وكـاتبه في الدنيـا والآخرة، إنه سـمـيع الدعـاء وأهل الرجـاء، وهو حـسـبنا ونعم الوكيل» أ.هـ

(١٠)
إعتذار للإمام عبدالله بن مسلم الدينوري المشهور بابن قتيبة ت٢٧٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في إصلاح غلط أبي عبيد (ص٤٦ ط دار الغرب):

«وقد يظن من لا يعلم من الناس ولا يضع الأمور مواضعها، أن هذا اغتياب للعلماء ـ وهو إصلاح غلط أبي عبيد ـ وطعن للسلف، وذكر للموتى. وكان يقال: «اعف عن ذي قبر» وليس ذلك كما ظنوا؛ لأن الغيبة: سب الناس بلئيم الأخلاق وذكرهم بالفواحش والشائنات، وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل لحوم الميتة، فأما هفوة في

حرفٍ أو زلة في معنى، أو وهم ونساين، فمعاذ الله أن يكـون هذا في ذلـك البـــاب، أو أن يكـون له مشـاكلاً، أو مقـارباً؛ أو يكون المنبه عليـه آثماً، بل يكون مأجوراً عند الله مشكوراً عند عباده الصالحين، الذين لا يميل بهم هوى، ولا تدخلهم عصـبية، ولا يجمعهم على الباطل تحزبٌ، ولا يلفتهم عن استبانة الحق حَسَدٌ.

وقد كنا زمـاناً نعتذر من الجهل، فـقد صرنا الآن نحـتـاج إلى الإعتـذار من العلـم، وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبـيه والدلالـة، فصـرنا نرضى بالسلامـة، وليس هذا بعـجيب مع انقلاب الأحـوال، ولا ينكر مع تغير الزمان وفي الله خلفٌ وهو المستعان.

ونذكر الأحـاديث التي خالفنا الشـيخ أبا عبـيد ـ رحـمه الـله ـ في تفسـيرها على قلتـهـا في جنب

صوابه، وشكرْنا مـا نَفَعنا الله من علمه، معـتمدين في ذلك بأمرين:

أحدهما: ما أوجـبه الله تعالى على من علم في علمه.

والآخر: أن لا يقف الناظر في كـتابنا على حرفٍ خالفناه فيه، فيقضي علينا بالغلط.

ونحن في ذلك إن شـاء الله سالمون. ومـا أولاك رحمك الله بتدبر ما نقـول؛ فإن كان حقاً وكنت لله مريداً أن تتلقاه بقلب سليم، وإن كان باطلاً أو كان فـيـه شيء ذهب عنا، أن تـردنا عنه بالاحـتـجـاج والبرهان.

فـإن ذلك أبلغ في الـنصـرة، وأوجب للعـذر، وأشفى للقلب» أ.هـ

(١١)
إعتذار الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ت ٧٩٠هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الموافقات (١/ ١٣ ـ تحقيق مشهور):

«فحق على الناظر المتأمل، إذا وجد فيه نقصاً أن يكمل، وليحسن الظن بمن حالف الليالي والأيام، واستبدل التعب بالراحة والسهر بالمنام، حتى أهدى إليه نتيجة عمره، ووهب له يتيمة دهره، فقد ألقى إليه مقاليد ما لديه، وطوقه طوق الأمانة التي في يديه، وخرج في عهدة البيان فيما وجب عليه و«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى، فمن

كانت هــجرته إلى الله ورســوله، فهجـرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». أ.هـ

(١٢)
إعتذار الإمام الحافظ بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في كتابه «القواعد» (ص٢، ط الكليات الأزهرية ١٣٩٢هـ):

«فهذه قواعد مهمة، وفوائد جمة ـ إلى أن قال ـ: فليمعن الناظر فيه النظر، وليوسع العذر إن اللبيب من عذر، فلقد سنح بالبال على غاية من الإعجال، كالإرتجال أو قريباً من الإرتجال في أيام يسيرة وليال، والله المسؤول أن يوفقنا لصواب القول والعمل، وأن يرزقنا اجتناب الزيغ والزلل، إنه قريب مجيب لمن سأله، ولا يخيب من إياه رجا، وعليه توكل». أ.هـ

(١٣)
إعتذار للإمام ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في مدارج السالكين (٣/ ٥٢٢ ط أولى):

«فيا أيها القارىء له، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته. فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله، ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال! لا إلى من قال.

وقد ذم الله تعالى من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا جاء به من يحبه، فهذا خلق الأمة الغضبية، قال بعض الصحابة: (إقبل الحق ممن قاله

وإن كان بغيضـاً، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيباً).

وما وجدت فيه من خطأ: فـإن قائله لم يأل جهد الإصابة ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال.

كما قيل:

والنقص في أصل الطبيـعة كامن
فبنو الطبـيعـة نقصهم لا يجـحد

وكيف يعصم من الخطأ من خُلِقَ ظلوماً جهولاً؟!

ولكن من عـدت غلطاته أقرب إلى الصـواب ممن عدت اصابته». أ.هـ

(١٤)
إعتذار الإمام محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود (٦٠٠١٢ ط ١٣٧٤هـ):

«وأنا أناشد الله تعالي، من وقف عليه من حبر بليغ القلم منيره، أو بحر اللسان غواصه، والكلام جوهره: أن يعاملني عند الوقوف عليه بإغضائه وصفحه، وأن يسدد ما يقع عليه طرف تأمله وانتقاده من الخلل، كاشفاً ظلام عيني بإسفار صبحه، وتمحيص نصحه، حاملاً كل قول يستغربه، أو يستهجنه على أحسنه، راداً كل لفظة فظة إلى أوضح

معنى وأبينه.

فأي جواد لا يكبو؟

وأي سيف لا ينبو؟

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء فـضلاً أن تعـد معـايبه

والخلق يتـفاضلون في العلم والإدراك. والعـاقل يحتاج إلى منبه يحذره مدارك التعقب والإستدراك.

وقصارى مؤلفه الفقيـر الحقير: الإعتراف بما لديه من العـجز والتـقصـيـر، وأن خطوه في سلوك هذا المرتقى الوعر قـصير، وهو يستغـفر الله مما طغى به القلم. وحاول إدراك شأو المتقدمين فيه فلم». أ. هـ.

(١٥)
إعتذار الإمام عبدالقادر بن محمد الأنصار الجزيري

○ قال ـ رحـمه الله ـ كما في درر الفـوائد المنظمة (ص٢، ٧٠٧ ط١٣٨٤ السلفية):

«يا ناظراً فـيما عـنيت بجـمعـه
عـذراً فـإن أخا الفـضـيلة يعـذر
علـمـاً بأن المـرء لو بلـغ المدى
في العمر لاقى الموت وهو مقصر
فـإذا ظفـرت بزلة فـافتـح لهـا
باب التـجاوز فـالتـجاوز أجـدر

سـائلاً من حسن خـيمـه، وسلم من داء الحسـد

أديمه، أن يسبل ذيل ستره على هذا المرقوم، وأن يصلح ما عساه أن يجده من الخطأ في المنطوق والمفهوم، فقد قدمنا الإعتذار عن أبناء الطبيعة، وقل أن يسلم مؤلف عن خطأ وخلل ولو كان في علوم الشريعة، والله المسئول والمأمول أن يختم لنا بالحسنى، ويجعلنا من الفائزين بعفوه المغمورين برحمته، المقربين من دار كرامته بالمحل الأسنى، إنه هو الجواد الكريم والرءوف الرحيم» أ.هـ.

(١٦)
إعتذار الإمام ياقوت الحموي الرومي ت٦٢٦هـ

○ قال ـ رحـمه الله ـ كمـا في: إرشاد الأريب في معرفة الأديب، أو: إرشاد الألبـاء إلى معرفة الأدباء (١/ ١١ ط دار الغرب):

«وعلى أنني معترف بقول يحيى بن خالد: لايزال الرجل في فـسحـة من عـقله مـا لم يقل شعـراً أو يصنف كتاباً.

وقد كتب جعفر بن يحيى إلى بعض عماله، وقد وقف على سهـو في الكتاب ورد منه: (إتخذ كـاتباً متصفحاً لكتـبك، فإن المؤلف للكتاب تنازعه أمور،

وتعتوره صروف، تشغل قلبه وتشعب فكره، من كلام ينسقه، وتأليف ينظمه، ومعنى يتعلق بشرحه، وحجة يوضحها، والمتصفح للكتاب أبصر بمواضيع الخلل من مبتدى تأليفه).

وأنا فقد اعترفت بقصوري فيما اعتمدت عن الغاية، وتقصيري عن الانتهاء إلى النهاية؛ فاسأل الناظر فيه، أن لا يعتمد العَنَتَ، ولا يقصد قصد من إذا رأى حسناً ستره، وعيباً أظهره. ويتأمله بعين الانصاف لا الانحراف، فمن طلب عيباً وجدَّ وجد، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا فقدّ فقد.

فرحم الله امرءاً قهر هواه، وأطاع الإنصاف ونواه، وعذرنا في خطأ إن كان منا، وزللٍ إن صدر عنا، فالكمال محال لغير ذي الجلال، فالمرء غير معصوم، والنسيان في الإنسان غير معدوم. وإن

عجز عن الإعتذار عنا والتصويب، فقد علم أن كل مجتهد مصيب، فإنا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة، فقد أصبنا في مواطن كثيرة. فما علمنا فيمن تقدمنا من العلماء، وأمنا من الأئمة القدماء أحداً إلا وقد نظم في سلك أهل الزلل، وأخذ عليه شيء من الخطل، وهمْ هُمُ!!

فكيف بنا مع قصورنا واقتصارنا، وصرف جل زمانا في نهمة الدنيا وطلب المعاش، وتنميق الرياش، الذي مزادنا منه صيانة العرض، وبقاء ماء الوجه لدى العرض». أ.هـ

(١٧)
إعتذار الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ت٦٨١هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في وفيات الأعيان (١/ ١٢ ط دار صادر):

«فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن، ورأى فيه خللاً فهو المثاب في إصلاحه بعد التثبت فيه، فإني بذلت الجهد في التقاطه من مظان الصحة، ولم أتساهل في نقله ممن لا يوثق به، بل تحريتُ فيه حسبما وصلت القدرة إليه وكان ترتيبي له في شهورٍ سنة أربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة مع شواغل عائقة، وأحوال عن مثل هذا متضايقة،

فليعذر الواقف عليه، وليعلم أن الحاجة المذكورة ألجأت إليه، لا أنْ النفس تحدثها الأماني من الانتظام في سلك المؤلفين بالمحال، ففي أمثالهم السائرة «لكل عمل رجال».

ومن أين لي ذلك والبضاعة في هذا العلم قدر منزور، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور.

حرسنا الله تعالى من التردي في مهاوي الغواية، وجعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية، بمنه وكرمه، آمين». أ.هـ

(١٨)
إعتذار الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الموضح لأوهام الجمع والتفريق (١/ ٥ ط١٤٠٥هـ):

«ولعل بعض من ينظر فيما سطرناه، ويقف على مالكتابنا هذا ضمناه يلحق سيء الظن بنا ويرى أنا. عمدنا للطعن على من تقدمنا، وإظهار العيب لكبراء شيوخنا وعلماء سلفنا، وأنى يكون ذلك، وبهم ذكرنا، وبشعاع ضيائهم تبصرنا، وباقتفاء رسومهم تميزنا، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا؛

وما مثلهم ومثلنا إلا ما ذكر أبوعمرو بن العلاء ـ

وذكر أسناده ـ عن الأصمعي قـال: قال أبوعمرو بن العلاء: مـا نحن فيمـن مضى إلا كبـقل في أصول نخل طوال» أ.هـ.

(١٩)
إعتذار الإمام محمد طاهر الصديقي الهندي الفتني ت٩٨٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في مجمع بحار الأنوار (١/ ٣ ط الهندية ١٣٨٧هـ):

«والمسؤول من إخوان الصفاء، من ناظري الكتاب أهل الوفاء، أن يصلح لله ما طغى به القلم، أو زلت فيه القدم، فإن ذلك ديدني لفقد من أراجعه من الأئمة الأعلام في هذه البلدان، وضعف قوتي لتعسر الإستمداد من الأخلة والإخوان، وتعذر الاستفادة من الأساتذة ذوي الإيقان، وقلة حيلتي لفقد الكتب المصححة المعروضة على الأئمة ذوي الإتقان، وهو اني

على الناس الساعين بالفساد، والباغين العنت للبراء بالعناد، والمكدرين للأذهان بسل سيف العدوان على الأعزة والإخوان، المنكدين للأفهام بإكثار الهموم والأحزان، مع أن الإنسان مركب من النسيان، ولضيق أوقاتي بمذاكرة الملازمين من الإخوان، فلم تتسع للمراجعة فيما سودت والتدبر فيما رتبت في ثاني الأوان،، ولم أُبال بما يفوت من حسن ثناء الأكياس إذا ترتب عليه ما يجب فيه صرف جواهر الأنفاس، من استفاد طلاب الصدق من أهل الوداد، وادخار الزاد يوم الافتقار في المعاد، وأن يعذرني بجنب ما عانيت وكْدي وكَدِّي، في تقريب ما تبعد، وتيسير ما تعسر، وجمع ما تشتت، وحذف ما تكرر، وتقليل ما تكثر، فلقد أغناك بالإسْفَار عن الأسْفَار، وكفاك بعد أقطار وأوراق عن البحار والأسفار، والله الموفق للصواب والسداد، والميسر للرشاد» أ.هـ

(٢٠)
إعتذار الإمام أحمد بن عبدالرحيم الدهلوى ت١١٧٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الحجة البالغة (١/ ٤٤):

«وها أنا بريء من كل مقالة صدرت مخالفة لآية من كتاب الله، أو سنة قائمة عن رسول الله ﷺ، أو إجماع القرون المشهود لهم بالخير، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين، فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ، رحم الله تعالى من أيقظنا من سنتنا، أو نبهنا من غفلتنا» أ.هـ

(٢١)
إعتذار الإمام صديق حسن خان القنوجي ت١٣٠٧هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في إكليل الكرامة (ص٩):

«فإن كنت أحسنت فيما جمعت، وأصبت في الذي صنعت ووضعت، فذلك عميم من الله وجزيل فضله عليَّ، وعظيم أنعمه وجليل طوله، وكريم إحسانه إليَّ؛ وإن أسأت فيما فعلت وأخطأت إذ وضعت فما أجدر الإنسان بالاساءة والعيوب، إذا لم يعصمه علام الغيوب» أ.هـ

(٢٢)
إعتذار الإمام إبراهيم بن عبدالله الفرضي

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في العذب الفائض (١/ ٤ ط١٣٧٢هـ الحلبية):

«وأسأل من وصل كتابي هذا إليه، ووقف بنظره السديد عليه، إذا عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلت به القدم، أن يصلحه ويدرأ بالحسنة السيئة، ويخطر في قلبه أن الإنسان محل النسيان، وأن الصفح عن عثرات الضعاف من شيم الأشراف، وأن الحسنات يذهبن السيئات، فإني بالعجز معترف، وبالخطأ والتقصير متصف، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل» أ.هـ

(٢٣)
اعتذار الإمام إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في كتابه اللمع في الحوادث والبدع (١/١، ٢):

«بعد كلام له تقدم: غفر الله لقارئه، ولمن نظر فيه، وللسامعين ولمن سد خللاً وجد فيه إن اطلع، وكشط شيئاً قاله المؤلف فخرج بقوله عن الكتاب والسنة ووقع، لأن المؤلف قليل العلم، كثير الجهل، غافل عن أهوال يوم المطَّلَع، فرحم الله من دعى له بحسن الخاتمة، وأن يجعله ممن أطاع ربه، وذل لعزته وعظمته، وخضع

ياناظراً فـي كـتـابي حـين تقـرؤه

عدل هديت بلا حيف ولا شطط

إن مر سهوٌ فـلا تعجل بسبك لي

واعذر فلستُ بمعصوم عن الغلط»أ.هـ

(٢٤)
إعتذار الإمام أبي العباس أحمد بن علي بن القلقشندي ت٨٢١هـ

○ قال - رحمه الله - كما في صبح الأعشى (١/ ١٠ ط ١٤٠٥هـ):

«وليعذر الواقف عليه، نتائج الأفكار التي على اختلاف القرائح لا تتناهى، وإنما يُنفق كل أحد على قدر سعته لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها، ورحم الله من وقف فيه على سهو أو خطأ فأصلحه عاذراً لا عاذلاً، ومنيلاً لا نائلاً، فليس المبرأ من الخطل، إلا من وقي الله وعصم. وقد قيل: الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم

والله تعالى يقرنه بالتوفيق، ويرشد فيه إلى أوضح طريق، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب». أ.هـ

(٢٥)
إعتذار الإمام أحمد بن عبدالوهاب النويري ت٧٣٢هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في نهاية الأرب (١/ ٢٥ ط مصورة عن ط دار الكتب دون تاريخ):

بعد كلام له سابق:

«وأتيت فيه بالمقصود والغرض، وأثبت الجوهر ونفيت العَرَض، وطوقته بقلائد من مقولي، ورصعته بفرائد من منقولي، فكلامي فيه كالسارية تلتها السحائب، أو السرية رَدَفْتها الكتائب، فما هو إلا مترجم عن فنونه، وحاجب لعيونه.

وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه، ولو علمت أن فيه خطأً لقبضت بناني، وغضضت طرفي، ولو خبرت طريق المعترض لعطفت عناني لكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي. فإن يكن اعتراض فعلى عُلاهم لا عليَّ العار.

وقد علمتُ أنه من صنف كتاباً فقد استهدف، وأصم الأسماع وان كان لبعضها قد شنف.

وخليق للواقف عليه أن يسد ما يجد به من خلل، وأن يغفر ما يلمح فيه من زلل؛ فأسبِلْ عليه ستر معروفك الذي سترت به قِدْماً على عواري، والذي أدى إليه اجتهادي من تأليفه فقد أصدرته، والذي وقفتْ عنده غايتي فقد أوردته. قد تبلغتُ فيه

وسعـي، لكن ليس من عثـرة الكِتَاب أمـان، وبالله سبـحانه المستـعان، وعليه أتوكل، وإليـه أتضرع في التيسير وأتوسل، ومن فضله استمد الصواب وباسمه استفتح الكتاب» أ.هـ.

(٢٦)
إعتذار الإمام بحر الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ت٨١٧هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب شماطيط (ص٤٠ ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ):

«وكتابي هذا بحمد الله تعالى، صريح أَلْفَي مصنف من الكتب الفاخرة وسنيح ألفي قَلَمَّسٍ من العيالم الزاخرة.

والله أسأل أن يثيبني به جميل الذكر في الدنيا، وجزيل الأجر في الآخرة.

ضــارعاً إلى من ينظر مــن عالم في عـملي، أن يسـتر عـثاري وزللي، ويسـد بسداد فـضله خللي، ويصلح ما طغى به القلم، وزاغ عنه البـصر، وقصر عنه الفـهم، وغـفل عنه الخـاطر، فالإنسـان مـحل النسيـان وإن أول ناسٍ أول الناس، وعلى الله تعالى التكلان» أ.هـ

(٢٧)
إعتذار الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ت٨٤٠هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في العواصم والقواحم (١/ ٢٢٣ ط الرسالة ١٤١٢هـ):

«وقد قصدت وجه الله تعالى في الذب عن السنة النبوية، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة على مالي من التقصير، ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير، لاعترافي أني لست من نقاد هذا الشأن، وإقراري أني لست من فرسان هذا الميدان، لكني لم أجد من الأصحاب من يتصدى لجواب هذه الرسالة، لما يجر إليه ذلك من القالة، فتصديت لذلك في غير

إحسان ولا إعجاب، ومن عدم الماء يتمم التراب!.

عالماً بأني لو كنت باري قوسها ونبالها، وعنترة فوارسها ونزالها؛ فلا يخلو كلامي من الخطأ عند الانتقاد، ولا يصفو جوابي من الغلط عند النقاد. فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو كلام الله في كتابه العزيز الكريم، وكلام من شهد بعصمته الذكر الحكيم؛

وكل كلام بعد ذلك، فله خطأ وصواب، وقشر ولباب، ولو أن العلماء ـ رضي الله عنهم ـ تركوا الذب عن الحق، خوفاً من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيراً، وخافوا حقيراً!!

ومن قصد وجه الله ـ تعالى ـ في عمل من أعمال البر والتقى، لم يحسن منه أن يتركه، لما

يجوز عليه في ذلك من الخطأ، وأقصى ما يخاف أن يِكلَّ حُسامه في معترك المناظرة، وينبو، ويعثر جواده في مجال المجادلة ويكبو، فالأمر في ذلك قريب.

إن أخطأ، فمن الذي عُصِمَ؟!،

وإن خُطِّىء فمن الذي ما وصم؟!

والقاصد لوجه الله، لا يخاف أن ينقد عليه خللٌ في كلامه، ولا يهـاب أن يُدلَّ على بطلان قوله، بل يحب الحق من حيث أتاه، ويقبل الهدى ممن أهداه، بل المخاشنة بالحق والنصيـحة، أحب إليه من المداهنة على الأقوال القـبيحة، وصـديقك من أصدَقَكَ لا من صدَّقك!؛

وفي نوابغ الكلم، وبدائع الحكم: عليك بمن ينذر الإبسـال والإبلاس، وإياك ومن يقـول: لا باس ولا

تاس. فإن وقف على كلامي ذكي لا يستقويه، أو جاف يسخر منه ويستزريه، فالأولى بالذكي أن يخفض لي جناح الذل من الرحمة، ويشكر الله على أن فضله عليّ بالحكمة؛ وأما الآخر الزّاري، وزند الجهالة الواري، فإن العلاج لترقيق طبعه الجامد، هو الضرب في الحديد البارد؛

ولذلك أمر الله بالإعراض عن الجاهلين، ومَدَحَ به عباده الصالحين» أ. هـ.

○ وله اعتذار آخر بنحو من هذا في مقدمة كتابه (الروض الباسم) (ص ١٠ ـ ١٢).

(٢٨)
إعتذار الإمام بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في عيون الأخبار (١/ ٥٢ ط دار الكتب العلمية):

«فهـذه أبواب الكتب جـمعـتها لك، فـي صدر أولها، لأعـفيك من كـد الطلب، وتعب التـصفح، وطول النظر عـند حـدوث الحـاجـة إلـى بعض مـا أودعتها، ولتـقصد فيما تريد حين تريـد إلى موضعه فتسـتخرجه بعينه، أو مـا ينوب عنه ويكفيك منه، ـ إلى أن قال ـ:

وقد خفـفتُ وإن كنتُ أكثرتُ، واختـصرتُ وإن

كنتُ أطلتُ، وتوقيت في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقاه من رضي من الغنيمة بالسلامة، ومن بُعد الشقة بالإياب، ولم أجد بداً من مقدار ما أودعته الكتاب منها لتتم به الأبواب.

ونحن نسأل الله أن يمحو ببعض بعضاً، ويغفر بخير شراً، وبجدٍ هزلاً، ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله، ويتغمدنا بعفوه، ويعيذنا بعد طول الأمل فيه، وحسن الظن به، والرجاء له، من الخيبة والحرمان» أ.هـ

(٢٩)
إعتذار الإمام محمد بن محمد الحسني المشهور بالإمام الزبيدي

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في اتحاف السادة المتقين (١/ ٣ ط بولاق):

«وأنا مع وضعي هذا الكتاب، ما أبريُ نفسي ولا كتابي من خلل وريب، ولا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب، بل أعترف بكمال القصور، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور، وأقول لناظر جمعي هذا: لا تأخذن في نفسك علي شيئاً وجدته مغايراً للفهم فإن الفهوم قد تختلف، ومن صنف فقد استهدف، واعتذر لك أيها المنصف من

خطأ أو زلة، فالجـواد قد يكبو، والفتى قـد يصبو، ولا يعد إلا فضولات العارف، وتدخل الزيوف على أعلى الصيارف، ولا يخفى عليك، أن التعقب على الكتب سـيمـا الطويلة سهل بالنسـبة إلى تـأليفـها، ووضعها وترصيفهـا، كما يشاهد في الأبنية القديمة، والهيـاكل العظيمة، حـيث يعترض على بانيـها من عري في فنه عن القوى والقدر، بحيث لا يقدر على وضع حجـر على حجـر، هذا جوابي عمـا يرد على كتابي.

وقـد كـتب أسـتـاذ البلغـاء القـاضي الفـاضل، عبدالرحيم البيساني، إلى العماد الكاتب الأصبهاني، معتـذراً عن كلام استدركـه عليه، أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا؟! وها أنا أخـــبـرك وذلك أني رأيت: أنه لا يكتب إنسـانٌ كتـابٌ في يومه إلا

قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل.

وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

فأرجوا مسامحة ناظريه فهم أهلوها، وأؤمل جميلهم فهم أحسن الناس وجوهاً». أ.هـ

تنبيه:

يقع بعض الكُتاب في وهمٍ حيث ينسبون الكلمة التي كتبها شيخ صناعة الكتابة في عصره، إمام أهل الترسل: البيساني المتوفى (٥٩٦هـ) ـ وقد مرت آنفاً ـ إلى العماد الأصفهاني. والذي دعاهم لذلك أن

الأستاذ أحمد فريد الرفاعي المتوفى (١٣٧٦هـ) وضعها أول كل جزء من أجزاء «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، وتداولها الناس بناءً على ذلك. والصواب ما تقدم.

(٣٠)
إعتذار الإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محب الدين الحموي المشهور بـ: المحبي (١٠٦٠ ـ ١١١١هـ)

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في خلاصة الأثر (١/ ٤ ـ مصور عن الطبعة الأولى):

«وما أقدمني على هذا الشأن، إلا تخلف أبناء الزمان، عن إحراز خصل الفضل في هذا الميدان.

لعمر أبيك ما نسب المعلى
إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت
وصوّح نبتها رُعيَ الهشيم

فأنا ذلك الهشيم، الذي سدَّ مسد الكريم، كيف

وقـد نجمَ نجمُ الجـهل، وصـوّح نبت بيت الفـضل، وصدئت القلوب، وضعف الطالب والمطلوب، وربما يظن أن مـا تخـالج في صـدري وهجس، لرعـونة أوجـبـهـا الفـراغ والهـوس، كـلا، بل ذلك لأمـرٍ يستحسنه اللبيب، ويحسن موقعه لدى كل أريب؛ لما فيـه من بقاء ذكـر أناس، شنفت مآثرهم الأسـماع، وجمع أشتـات فضائل حكم الدهر عليهـا بالضياع، وليس غـرضي إلا أداء حقـهم المفتـرض، وأبرأ إلى الله من تهـمـة الغـرض، وإني وإن قَـصُرْت فـمـا قَصَّرْت، وإن طولت فـما تطاولت، وغاية البليغ في هذا المضمـار الخطير، أن يعـترف بالقصـور، ويلتزم بالتقصـير، فإن المرء ولوِ بلغ جهـده، فالإحاطة في هذا الشأن لله وحده». أ.هـ.

(٣١)
إعتذار آخر للإمام محمد بن إبراهيم الوزير ت٨٤٠هـ

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في إيثار الحق على الخلق (ص٢٣ ـ ٣١٠ ط دار الكتب):

«واعلم أني بنيت هذا المختصر، على بيان الحق وتقريره، في هذه الأمور السبعة وهي:

أولها: اثبات العلوم الضرورية التي يبتنى الإسلام على ثبوتها.

وثانيها: ثبوت الرب عز وجل.

وثالثها: توحيده سبحانه وتعالى.

ورابعها: كماله بأسمائه الحسنى.

وخامسها: ثبوت النبوات وصحتها في الجملة.

وسادسها: الإيمان بجميعهم وعدم التفريق بينهم.

وسابعها: ترك الابتداع في دينهم بالزيادة على ما جاؤا به، والنقص منه.

وما زاد على ذلك من مواهب الله وعوارفه ومعارفه، وبدائع لطائفه، فليس بمقصود لي الكلام عليه، ولا أعتب على من خالفني في شيء منه، ولا يعاب التقصير فيه.

فإن التطويل في الأمور العارضة يخرج عن المقصود كما هو معروف.

ـ ثم قال ـ: ثم اعلم أن هذا المختصر لا يصلح الا لمن وضع له؛ كما أن الدواء الخاص بألم خاص،

لا يصلح لكل ألم؛ فمن كان يحتاج البسط وهو له أهل لكمال معرفته وذكائه، فإنه يستضر بالاختصار؛ ولا يشفيه إلا الحوافل الكبار، من مصنفات المصنفين من أذكياء النظار، وقد يكون في هذا المختصر الإشارة إلى تلك الكتب الحافلة والتنبيه عليها لمن يحتاج إلى ذلك، والدال على الخير كفاعله، ولكن: لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال، والكتب البسيطة في علم اللطيف لا تصلح لمن يخاف عليه من الشبه، كما أن السباحة في لجج البحار لا تصلح إلا لأهل الرياضة التامة في ذلك بعد طول التجارب.

وأرجو - إن شاء الله تعالى - أن لا يخلو هذا المختصر من أحد المعاني الثمانية، التي تصنف لها العلماء، بل من كل واحد منها وهي:

* اختراع معدوم.

* أو جمع متفرق.

* أو تكميل ناقص.

* أو تفصيل مجمل.

* أو تهذيب مطول.

* أو ترتيب مخلط.

* أو تعيين مبهم.

* أو تبيين خطأ.

كذا عدها أبو حيان وتمكن الزيادة فيها.

وإنما جمعت هذا المختصر المبارك - إن شاء الله تعالى - لمن صنفت لهم التصانيف، وعنيت بهدايتهم العلماء وهم من جمع خمسة أوصاف معظمها:

الإخلاص،

والفهم،

والإنصاف.

ورابعها ـ وهو أقلها وجوداً في هذه الأعصار ـ الحرص على معرفة الحق من أقوال المختلفين، وشدة الداعي إلى ذلك والحامل عليه: الصبر والطلب كثيراً، وبذل الجهد في النظر على الإنصاف، ومفارقة العوائد وطلب الفوائد؛

فإن الحق في هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحد بعد واحد، وإذا عظم المطلوب قل الساعد...

واعلم أني رأيت المصنفين في علم العقيدة الدينية قد سلكوا سلك سبيل مصنفي كتب المذاهب، التي ينتصر فيها المصنف لمذهب واحد في القوي

والضعـيف، والدقيق والجلي ولم يسلـك أحد منهم مـسلك مصنفي كـتب الإسـلام، التي تذكر فـيهـا مذاهب أهل الملة الإسـلامية، ويقـوي فيها مـا قوته الدلائل البرهـانية، سواء كـان لقريب أو بعـيد، أو صديق أو بغـيض، وكتب العقـائد أحق بسلوك هذا المسلك من كتـب الفروع، فأمـا كون الحق فيـها مع واحد فصيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب في جميع المواضع المتفرقة قـد اجتمع لبعض الفرق. . . وقد قـصدت احـياء هذه السنة الميتـة التي هي: ترك العصبية ولذلك سميته (إيثار الحق على الخلق).

جعله الـله اسماً مـوافقـاً لمسماه، ولفظاً مـطابقاً لمعناه، وجديـر أن يكون فيه مـا يستـدرك، فإن كل أسلوب ابتدىء لا يكمل إلا بمعاونة جماعة وتتابعهم عليه، وتكميل المتأخر لما أهمل المتقدم.

ولذلك: كانت أوائل كل علم وأسلوب، قليلة أو ناقصة، فليبسط العذر الـواقف على ما يستدرك فيه، لما كان أسلوباً غريباً بالنسبة إلى هذه الأزمنة المتأخرة» أ.هـ مختصراً.

○ ولهـذا الإمام ترجـمة عظيـمـة للغاية في البـدر الطالع (٢/ ٨١ ـ ٩٣).

وللقاضي إسماعي الأكوع ترجمة مستقلة. طبعت عن دار ابن حزم عام ١٤١٨هـ.

ومن طالع الـعـواصم والقـواصم/ لـه ـ خـضع لعلمه، وسلَّم بإمامته ـ رحمه الله ـ.

(٣٢)
إعتذار الإمام عز الدين علي بن محمد بن الشيباني المعروف بابن الأثير

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في الكامل في التاريخ (١/ ٤ ط١٣٨٥هـ ـ بيروت ـ صادر):

«ثم إن نفراً من إخواني، وذوي المعارف والفضل من خلاني، ممن أرى محادثتهم نهاية أوطاري، وأعدهم من أماثل مجالسيَّ وسماري، رغبوا إليّ في أن يسمعوه مني ليرووه عني، فاعتذرت بالإعراض عنه، وعدم الفراغ منه ـ إلى أن قال ـ وهم للطلب ملازمون، وعن الإعراض معرضون، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه، وإثبات ما تمس الحاجة

إليه وحذف ما لا بد من إطراحه، والعزم على إتمامه فاتر، والعجز ظاهر للإشتغال بما لا بد منه، لعدم المعين والمظاهر، ولهموم توالت، ونوائب تتابعت، فأنا ملازم الإهمال والتواني.

فلا أقول: إني لأسير إليه سير الشواني (المركب المعد للجهاد في البحر) فبينما الأمر كذلك: إذ برز أمر من طاعته فرض واجب، وإتباع أمره حكم لازب ـ ثم قال ـ فحينئذ القيت عني جلباب المهل، وأبطلت رداء الكسل، وألقت الدواة!، وأصلحت القلم.

وقلت: هذا أوان الشدّ فاشتدي زيم، وجعلت الفراغ أهم مطلب، وإذا أراد الله أمراً هيأ له السبب، وشرعت في إتمامه مسبقاً؛

ومن العجب أن السكيت يروم أن يجيء سابقاً؛ ونصبت نفسي غرضاً للسهام، وجعلتها مظنة لأقوال اللوّام، لأن المآخذ إذا كانت تتطرق إلى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب، الذي تكررت مطالعته وتنقيحه، وأجيد تأليفه وتصحيحه، فهي بغيره أولى، وبه أحرى.

علي أني مقر بالتقصير، فلا أقول: إن الغلط سهو جرى به القلم بل أعترفُ بأن ما أجهل أكثر مما أعلم» أ.هـ

(٣٣)
إعتذار آخر للإمام الزبيدي

○ قال ـ رحمه الله ـ كما في تاج العروس (١/ ٥١ ط ١٤١٤ دار الفكر):

«. . . وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول: شافهت، أو سمعت، أو شددت، أو رحلت، أو أخطأ فلان أو أصاب، أو غلط القائل في الخطاب، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالاً، ولم يُخْل فيها لأحد مجالاً، فإنه عُني في شرحه عمن روى، وبرهن عما حوى، ويَسَّر في خطْبه فادعى، ولعمري لقد جمع فأوعى، وأتى بالمقاصد

ووفى.

وليس لي في هذا الشرح فضيلة أَمُتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها، سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول، لأني عن كل كتاب نقلت مضمونه، فلم أبدل فيه شيئاً فيقال: ﴿فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾ البقرة ١٨١.

بل أديت الأمانة في شرح العبارة بالفصّ، وأوردت ما زدت على المصنف بالنص، وراعيت مناسبات ما ضمنه من لطف الإشارة، فليعد من ينقل عن شرحي هذا عن تلك الأصول والفروع؛

وليستغن بالاستضواء بدُرِّيِّ بيانه الملموع، فالناقل عنه يمد باعه ويطلق لسانه، ويتنوع في نقله عنه لأنه ينقل عن خزانة، والله تعالى يشكر من له بإلهام جمعه من منه، ويجعل بينه وبين محرفي كلمه عن مواضعة واقبة وجنة، وهو المسئول أن يعاملني فيه بفضله واحسانه، ويعني على اتمامه بكرمه وامتنانه، فإني لم أقصد سوى حفظ هذه اللغة الشريفة، إذ عليها مدار الكتاب العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما يوافق فيه النيةَّ اللسانُ، ويخالف فيه اللسانُ النية.

وقد جمعته في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح عليه السلام الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته: (تاج العروس من جواهر القاموس).



وكأني بالعالم المنصف قد اطلع عليه فارتضاه، وأجال فيه نظرة ذي علق فاجتباه، ولم يلتفت إلى حدوث عهده وقرب ميلاده لأنه إنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته، لا لقدمه وحدوثه.

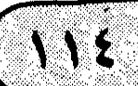
وبالجاهل المشط قد سمع به فسارع إلى تمزيق فروته وتوجيه المعاب إليه، ولما يعرف نَبْعَه من غَرَبه، ولا عجم عوده، ولا نفض تهائمه ونجوده.

والذي غره منه: أنه عمل محدث ولا عمل قديم، وحسبك أن الأشياء تنتقد أو تبهرج لأنها تليدة أو طارفة.

ولله در من يقول:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي

فلا زال غضباناً عليّ لئامها



وأرجو من الله تعالى أن يرفع قدر هذا الشرح بمنه وفضله وأن ينفع به كما نفع بأصله، وأنا أبرأ إلى الله عز وجل من القوة والحول، وإياه استغفر من الزلل في العمل والقول، لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه».

أ.هـ



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات



طبع في بيروت